

02 قاعدة : يرجع في تفسير القرآن إلى معهود العرب في خطابها

| د. عبدالله منكابو

عبدالله منكابو

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله النبي الامين وعلى اله وصحبه اجمعين.

حياكم الله ايها الاخوة والاخوات من طلاب وطالبات منصة - [00:00:00](#)

تزاني هذه الوحدة الخامسة نتكلم فيها عن مجموعة من قواعد التفسير التي تتعلق بلغة العرب وحديثنا في هذا الدرس الاول سيكون عن قاعدة مهمة يرجع في تفسير القرآن الى معهود العرب في خطابها - [00:00:25](#)

وستنكلم في ايضاح القاعدة ثم ذكر بعض تطبيقاتها ونختتم ببعض الفوائد المتعلقة بها ان شاء الله اما بيان هذه القاعدة فاننا نقول يرجع في تفسير القرآن الى معهود العرب في خطابها - [00:00:43](#)

الله سبحانه وتعالى انزل القرآن بلغة العرب بلسان عربي مبين وعلى هذا فالقرآن قد جاء آ بالفاظ العربية وجرى على الفاظها وعلى اساليبها وعلى طريقة العرب ومعهودها في الكلام ولا يصح فهم لكتاب الله عز وجل - [00:01:00](#)

الا لمن عرف لغة العرب من جهة الالفاظ ومن جهة الاساليب ومن جهة طريقتهم في الكلام وقد اشار الى هذا المعنى الشاطبي رحمه الله تعالى وقال لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الاميين في الخطاب - [00:01:24](#)

فان كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة وهذا جار في المعاني والالفاظ والاساليب وكثير ممن زل فيفهم القرآن انتهى كلام الشاطبي رحمه الله بشيء من التصرف - [00:01:42](#)

وكثير ممن زل في القرآن انما اوتي في الحقيقة من قلة علمه باللغة العربية وقد يكون عالما بمعاني الالفاظ لكنه يجهل طريقة العرب واتساع اساليبها في الكلام ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى عن اهل البدع قال اهلكتهم العجمة - [00:02:00](#)

وسأذكر هنا بعض الامثلة في ذلك. بعض الامثلة فيما يتعلق باساليب العرب في كلامها من اساليب العرب انها تحذف من الكلام ما يغني عنه الظاهر وما يوثق بفهم السامع له - [00:02:23](#)

كما في قوله سبحانه وتعالى على سبيل المثال كما في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر انزلناه ما مرجع الضمير؟ انزلنا ماذا انزلناه يعني انا انزلنا القرآن ومرجع الضمير هنا هنا محذوف - [00:02:40](#)

وذلك ثقة بفهم السامع لان المتكلم يعلم ان السامع اذا سمع هذا اللفظ بهذا الاسلوب ينصرف ذهنه مباشرة الى القرآن الكريم من اساليب العرب ايضا انها قد تنفي الشيء وتريد بذلك نفي فائدته وثمرته - [00:02:56](#)

ومنه قوله سبحانه وتعالى عن الكفار لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها لو قال قائل الكفار عندهم اعين لكنهم يبصرون ويرون الاشياء - [00:03:17](#)

وقد يكون بعضهم دقيق البصر وعندهم اذان تسمع وتذكر وتبلغ هذه الاصوات فنقول ليس هذا المراد ولا يعترض على كلام الله بمثل هذا وانما نزل القرآن هنا موافقا لاعادة العرب في كلامها - [00:03:32](#)

والعرب قد تنفي الشيء وتقصد بذلك نفي الثمرة والفائدة فلما كان هؤلاء الكفار لا ينتفعون بالحق اذا رأوه واذا سمعوه نفي عنهم الرؤية والسماع وكأنه غير موجود فالكلام هنا جار على عادة العرب في تعبيرها. العرب قد تخاطب السامع بحسب ما يعتقد انه وان كان مخالفا للواقع - [00:03:48](#)

ومنه قوله جل وعلا للمشاركين اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فسماهم شركاء مع انهم ليسوا شركاء في الحقيقة لكنها تسمية بحسب اعتقاد المخاطب العرب قد تعبر عن الشيء الماضي بصيغة المضارع - [00:04:14](#)

لإفادة تصوير الحال ومنه قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فجاء هنا بالصيغة المضارع قال ابن عاشور عبر بصيغة المضارع يعني في قوله تصبح لانه قصد استحضار تلك الصورة العجيبة الحسنة - [00:04:34](#)

ومثله قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فجاء بصيغة المضارع لتصوير الحال امام السامع وقد يعبر عن الشيء الذي سيقع في المستقبل بصيغة الماضي وذلك تنبيها على تأكده وتحقق وقوعه - [00:04:57](#)

ومنه قوله سبحانه وتعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه. اتى الكلام هنا عن شيء مستقبل يعني سيأتي لكنه عبر بصيغة الماضي تأكيداً على تحقق وقوعه ومنه قوله جل وعلا ويوم نسير الجبال يعني في يوم القيامة - [00:05:18](#)

ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهن وهذا بصيغة الماضي تأكيداً لوقوعه وقد تخاطب العرب الواحد بلفظ التثنية او بالعكس وقد يتكلم المفرد بخطاب الجماعة او بالعكس وقد يطلق اللفظ العام ويراد به بعض افراده - [00:05:38](#)

كما في قوله تعالى الذين قالهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم. الناس لفظ عام لكن لا يراد به جميع الافراد وانما يراد آآ اناس معينين افراد معينين فهذه بعض اساليب العرب في مخاطباتها. ولا يستقيم فهم القرآن الا بمعرفة هذه الاساليب - [00:06:02](#)

المعهودة عند العرب ننتقل بعد ذلك للعنصر الثاني في ذكر بعض تطبيقات القاعدة عند المفسرين. السائل الاول في قوله سبحانه وتعالى خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك - [00:06:24](#)

قال الطبري رحمه الله في تفسيره يعني بقوله ما دامت السماوات والارض ابدًا وذلك لان العرب اذا ارادت ان تصف الشيء بالدوام ابدًا قالت هذا دائم دوام السماوات والارض بمعنى انه دائم ابدًا - [00:06:39](#)

وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار وما سمر لنا سمر وما لألت العفر بأذنابها يعنون بذلك كله ابدًا قال رحمه الله تخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال خالدين فيها ما دامت السماوات والارض والمعنى في ذلك - [00:06:57](#)

خالدين فيها ابدًا وعلى هذا لا يرد الاشكال ولا يرد الاستفهام حينما يقول الانسان هل معنى هذا ان الخلود سيكون مؤقتا لان السماوات والارض ليست دائمة؟ نقول هذا من اساليب العرب انهم يقصدون بمثل هذا التأييد - [00:07:20](#)

المثال الثاني في قوله تعالى اذا القاعدة هنا ان من اساليب العرب انها قد تعلق الكلام بشيء زائل لكنها تقصد به التأييد والخلود المثال الثاني في قوله سبحانه وتعالى لما ذكر عذاب النار قال جل وعلا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون - [00:07:36](#)

هنا اشكال قد يظهر في فهم السامع وهو ان الله جل وعلا ذكر في هذه الآية صيغة التفضيل وهي خير والمعروف في لغة العرب ان صيغة التفضيل تقتضي المشاركة بين المفضل والمفضلة عليه - [00:07:58](#)

حينما تقول زيد اكرم من عمرو. اذا زيد عنده كرم وعمرو عنده كرم. لكن زيد اكثر في هذه الصفة من عمرو هذا هو الاصل في لغة العرب قال ومعلوم نعم الكلام هنا للشنقيطي رحمه الله في الاضواء قال ومعلوم ان المفضل عليه في الايات المذكورة الذي هو عذاب النار لا خير فيه البت - [00:08:15](#)

انتهى فكيف يقال عن النار؟ اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون؟ فصيغة التفضيل قد يظهر فيها اشكال للقارئ اجاب الشنقيط رحمه الله في اضواء البيان عن هذا الاشكال قال الجواب من وجهين - [00:08:38](#)

الاول ان صيغة التفضيل قد تطلق في القرآن وفي اللغة مراداً بها مطلق الاتصاف لا تفضيل شيء على شيء قال وقدمناه مرارا واكثرنا من شهيد في العربية في سورة النور وغيرها - [00:08:53](#)

الثاني ان من اساليب اللغة العربية انهم اذا ارادوا تخصيص شيء بالفضيلة دون غيره جاءوا بصيغة التفضيل ويريدون بها خصوص ذلك الشيء بفضل ثم ذكر لي هذا شواهد من شعر حسان ابن ثابت رضي الله عنه من كلام العرب - [00:09:09](#)

والنقل هنا بشيء من الاختصار. اذا القاعدة ان العرب قد تطلق صيغة التفضيل ومرادها بذلك مجرد الوصف لا تفضيل شيء على شيء من فوائد دراسة هذه القاعدة ونختتم بهذا العنصر الاخير ان يعرف دارس القرآن - [00:09:28](#)

انه لا يكفي ان يكون محيطا بمعاني كلمات العربية بل لا بد ان يعرف ايضا اساليب العرب في وجوه مخاطباتها وكثير مما افتراه المستشرقون واتباعهم من الطعن في الفاظ القرآن - [00:09:45](#)

اه هو في الحقيقة من الطعن في القرآن او في تراكيبه او في اعرابه سببه الجهل بكلام العرب واتساع لغتهم ولو كان في لغة العرب ما يعترض عليه لكان كفار قريش وهم افصح العرب - [00:10:02](#)

كانوا اول من اعترض على كلام الله سبحانه وتعالى. بهذا نكون قد انتهينا من درسنا ونلتقاكم باذن الله جل وعلا في الدروس القادمة. صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى - [00:10:18](#)

اله وصحبه اجمعين - [00:10:28](#)